

سُورَةُ الشُّورَى



النَّزْوَلُ: مَكِيَّةٌ.

المَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير الإيمان بوحدانية الله تعالى، والإيمان بالملائكة والرسل والبعث.
- ٢ - بيان عظمة مبدأ الشورى، وأهميته في حياة المسلمين خاصة، والبشرية عامة.
- ٣ - تقرير هداية القرآن الكريم للبشرية.
- ٤ - تأكيد وحدة المصدر لدى المرسلين، وأنه من عند رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْ ۖ عَسَقَ ۚ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ أَلَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ۲﴾
 الْمَسَمَّوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَى الْعَظِيمِ ۗ ۳﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرُنَّ مِنْ فَوْهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
 يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ۴﴾

التفسير:

١ - ٢ - تقدّم في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطّعة، وأنّ من الحكمة في إيرادها بيان إعجاز القرآن.

٣ - ٥ - مثل ما أوحى إليك ربّك - يا محمد - هذا القرآن، أوحى إلى الرّسل من قبلك في الكتب المنزلة، الله العزيز في مملكته، الحكيم في تدبير مخلوقاته، له كلُّ ما في السموات السبع، وكلُّ ما في الأرضين السبع، وهو العليُّ بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، العظيم الذي اجتمعت فيه صفات العظمة. ومن عظمته أنَّ السموات السبع تقاربُ أن تتشققَ، فهي تتأثُّر بعظمته سبحانه وبكلِّ ما يمَسُّ هذه العظمة من قول المشركين: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ ولدًا! والملائكة كُلُّهم يلهجون بالتسبيح بحمد ربّهم، ويسألون الله المغفرة لذنوب المؤمنين. ألا فانتبهوا أيُّها العباد، ولا تغفلوا عن مغفرته لذنوب عباده التائبين، الرحيم بهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ - بيان قدرة الله تعالى، حيث إنَّ كلامه المنزل على نبيه من الحروف التي يتكلّم بها الناس، ويُرَكِّبون منها كلامهم، ومع ذلك عَجَزوا أن يأتوا بمثله.

- ٢ - إثبات نبوة النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿يُوحَى إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - عموم ملك الله ﷺ في قوله: ﴿إِلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ اسم موصول يفيد العموم.
- ٤ - بيان علوّ الله ﷺ الذاتي؛ لقوله: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾.
- ٥ - نعمة الله علينا أن سخّر لنا الملائكة يستغفرون لنا؛ لأنَّ الملائكة لو لا أنَّ الله سخّرهم لنا ما استغفروا لنا، لكنَّ الله سخّرهم.
- ٦ - تأكيد أنَّ الله ﷺ غفور رحيم، وأكَّد ذلك بثلاثة مؤكّدات: ﴿أَلَا﴾، ﴿إِنَّ﴾، ﴿هُوَ﴾.
- ٧ - بيان الحكمة في حُكم الله القَدِيرِ؛ لأنَّ قوله: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ كالتعليق لقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، كأنَّ قائلاً يقول: لماذا يستغفرون لمن في الأرض؟ فتكون الإجابة: لأنَّ الله هو الغفور الرحيم.

﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ هُنَّ حَفِظُوا وَمَا أَنَّ عَلَيْهِمْ بُوكِيلٌ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَفْخَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرِيَّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرْبَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِي قِبَلَتِهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِي قِبَلَتِهِ فِي السَّعْيِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ بَعْلَاهُمْ أُمَّةً وَجَدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا هُمْ بِلِيٍّ وَلَا يَصِيرُ ﴿٨﴾ أَمْ أَخْدُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يَحْيِي الْمَوْتَنَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَفَتْمُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمَ أَزْوَاجًا يَدْرُؤُكُمْ فِيهِ لِيَسَ كَمِيلٌ شَفَعَ وَهُوَ أَسَيْمُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَمَّا مَقَالَيْدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُطُ الْرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

التفسير:

- ٦ - يُهَدِّدُ الله المشركين الذين اتخذوا من غير الله آلهة يعبدونها، بأنَّ الله يحفظ عليهم أعمالهم، ويحاسبهم عليها يوم القيمة. لست - أيها الرسول - مسؤولاً عن أعمالهم، وإنما أنت مُبلغ وقد أدَّيت الأمانة.

٧ - ومثل ما أوحينا إلى الأنبياء السابقين أو حينا إليك قرآنًا عربياً فصيحاً؛ لتنذر أهل مكة ومن حولها من العباد أجمعين، وتحذر من العقاب يوم القيمة لجمع الخلائق وحسابهم، يوم لا شك فيه، ثم يتفرق فيه العباد فريقين: فريق في الجنة، وفريق في نار جهنم المستمرة.

٨ - ولو شاء الله لجعل الناس كلهم مهتدين، ولكن أراد أن يدخل في رحمته من يشاء من المؤمنين، والظالمون أنفسهم بالكفر ليس لهم من دون الله من يتولّ أمرهم، ولا نصير يدفع عنهم العذاب.

٩ - ينكر الله على المشركين أنهم لم يتخذوا الله ولیاً، بل اتخذوا أولياء من دون الله يتولّونهم، فالله وحده هو الولي بحق إن أرادوا ولیاً. وهو وحده الذي يبعث الموتى، وهو على كل شيء قادر لا يعجزه شيء.

١٠ - وما اختلفتم فيه - أيها العباد - من أمور الدين فحكمه إلى الله في كتابه وسنته رسوله ﷺ. ذلكم الله العظيم ربّي وربّكم، عليه وحده اعتمدت في أموري، وإليه أرجع في كل شؤوني.

١١ - ١٢ - هو سبحانه خالق السموات السبع والأرضين السبع، جعل لكم من جنسكم أزواجاً ذكوراً وإناثاً لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الإبل والبقر والغنم أزواجاً أيضاً، يكثّركم، ويبشّركم منتشرين بسبب التوالي، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، وهو السميع للأقوال، البصير بالأحوال، له سبحانه ملکوت السموات السبع والأرضين السبع، يُوسّع رزقه على من يشاء من عباده، ويُضيقه على من يشاء. إنه سبحانه بكل شيء من الأشياء علیم، لا يخفى عليه شيء.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تسلية الدعاة إلى الله في مواجهة المعوقات التي تتعسر طريقهم.
- ٢ - أهمية معرفة اللغة العربية وتعلمها. وجده ذلك أنه إذا كان القرآن عربياً، وكنا مخاطبين به وملزمين بالعمل به، فإنه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بتعلم اللغة العربية.
- ٣ - في الآية (٨) إخبار مستقبلٍ عن عاقبة الظالمين أنفسهم بالشرك يوم

القيامة، فإنّهم ليس لهم ولیٌ يتولّ أمورهم، ولا نصیر ينصرهم من عقاب الله تعالى.

٤ - في الآية (٨) قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وقف نبوي، ينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وتفسير سورة الأنعام الآية (٦٥). وقال النحاس: «ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب، ويفصل مما بعدها، إن كان بعدها ذكر النار والعقاب، نحو: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨]، لا ينبغي أن يقول: ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ لأنّه منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل، أي: ويذنب الظالمين، أو وأوعد الظالمين». (القطع والاستفاف ص ٨٩).

٥ - القائم بالعدل من الناس له ناصر ووليٌ، والدليل من مفهوم المخالفة، إذا كان الظالم لا ولیٌ له ولا نصیر، فمنْ قام بالعدل فله ولیٌ ونصیر.

٦ - إثبات الولاية لله؛ لقوله: ﴿فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾، فلا ولاية لأحد من دون الله؛ لأنّ ﴿هُوَ﴾ ضمير فضل يفيد الحصر.

٧ - وجوب الرجوع إلى حكم الله عند الاختلاف؛ لقوله تعالى: ﴿فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

٨ - الله ﷺ ينشر ويُثُبِّتُ ويُكثِّر بنـي آدم، وما خلق له من الأنعام بسبب التزاوج.

٩ - الردُّ على المشركين الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فهو ﷺ لا مثيل له، لا في الخلق، ولا في الصفات، ولا في غيره.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الْدِينِ مَا وَصَّنِي بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنَّا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى لَئِنْ أَفَيُوا الْدِينَ وَلَا تَنْقِرُوهُ فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَذَّعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَعْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾١٣ ﴿ وَمَا نَقَرُوهُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَأُبَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُرْثَوُا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُؤْمِنٌ ﴾١٤ ﴿ فَلَذِلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَنَعَّهُوَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَاتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ رَأْمَرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾١٥ ﴾

التفسير:

١٣ - يَمْتَنُ سبحانه على عباده المؤمنين والنبي ﷺ بكرمه العظيم أن شرع لهم من الدين خير الأديان، وهو الإسلام الذي أمر به نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، وهم أولو العزم من المرسلين، أمرهم بإقامة جميع شعائر هذا الدين، ونهاهم عن الاختلاف والفرقـة في الدين، وذم المشركـين الذين استقلـوا، وأعرضـوا عن دعوة النبي ﷺ إلى توحـيد الله، الذي يصطفـي مـن يشاء من المرسلـين، ويوافقـ من يرجعـ إليه بالطاعة من المؤمنـين.

١٤ - وما تفرقـ أهل الأديـان والمـشرـكون إلا من بعد ما جاءـهم الرـسل بالعلم من عند الله، وما حملـهم على ذلك إلا الحـسد والـعدـاوة بينـهم. ولو لا حـكـمـ سابقـ من الله بتـأخـير العـقـاب لـقـضـيـ بينـهم بـإـهـلاـكـ الـكـفـارـ، وإنـ أـهـلـ الـكـتـابـ الـذـينـ أـوـتـواـ التـوـرـاـةـ وـالـإـنـجـيلـ منـ بـعـدـ أـوـلـئـكـ الـهـالـكـينـ لـفـيـ شـكـ فيـ كـتـبـهـمـ أوـقـعـهـمـ فيـ الـرـيـةـ وـالـحـيـرةـ.

١٥ - فـلهـذاـ الـدـينـ الـعـظـيمـ فـادـعـ أـئـمـهاـ الرـسـولـ وـاسـتـقـمـ كـمـاـ أـمـرـكـ اللهـ، وـلـاـ تـتـنـعـ أـهـوـاءـ الـمـشـرـكـينـ، وـقـلـ:ـ آـمـنـتـ بـجـمـيعـ الـكـتـبـ الـتـيـ أـنـزـلـهـاـ اللـهـ عـلـىـ رـسـلـهـ، وـأـمـرـنـيـ رـبـيـ أـنـ أـعـدـلـ بـيـنـكـمـ فـيـ الـحـكـمـ.ـ اللـهـ رـبـنـاـ وـرـبـكـمـ جـمـيـعـاـ،ـ لـنـاـ ثـوـابـ أـعـمـالـنـاـ الصـالـحةـ،ـ وـلـكـمـ جـزـاءـ أـعـمـالـكـمـ السـيـئةـ،ـ لـاـ جـدـالـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـكـمـ بـعـدـ مـاـ تـبـيـنـ الـحـقـ.ـ اللـهـ يـجـمـعـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـكـمـ جـمـيـعـاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ،ـ وـإـلـيـهـ الـمـرجـعـ لـلـحـسـابـ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - دين الأنبياء واحد من نوح ﷺ إلى محمد ﷺ.
- ٢ - إثبات رسالة النبي ﷺ؛ إذ قال: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - الأمم جميعهم مأموروون بإقامة الدين، وعدم التفرق فيه.
- ٤ - عصمة الله تبارك وتعالى ﴿مَنْ يُنِيب﴾ من البدع والمخالفات؛ لقوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾.
- ٥ - الحث على الإنابة إلى الله ﷺ؛ لأنها سبب للهداية.
- ٦ - من خالف الدين من بعد مجيء العلم فإنه باع معتمد؛ لقوله: ﴿بَعْيَانًا بِيَهُمْ﴾.
- ٧ - يجب على المرء أن يستقيم كما أمر، ولا يُحدِث في دين الله ما ليس منه؛ لقوله: ﴿وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾.
- ٨ - تثبيت الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ؛ لأن مثل هذه الأوامر والنواهي تؤيده وتثبته وتقويه.
- ٩ - وجوب الإيمان بكل ما أنزل الله من كتاب؛ لقوله: ﴿وَقُلْ إِنَّمَاتُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾.
- ١٠ - وجوب العدل؛ لقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجِجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجَبْتَ لَهُ جَهَنَّمْ دَاهِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْعَجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِوْنَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَرِدْ لَهُ فِي حَرَثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)

التفسير:

- ١٦ - والكافر الذين يُحاججون في دين الله تعالى من بعد ما استجاب

الناس له حُجَّتهم باطلة عند ربِّهم، وعليهم سَخْطٌ من الله في الدنيا، ولهم عذاب شديد الأَلم في الآخرة.

١٧ - ١٨ - الله تعالى الذي أنزل القرآن وسائر الكتب متسمة بالصدق، وأنزل العدل؛ ليحكم بين الناس بالإنصاف، وما يُعلِّمُك لعلَّ وقت الساعة قريب وأنت لا تدري. تلك الساعة التي يستعجل بمجيئها الكفار سخرية، والمؤمنون خائفون من قيامها، ويعتقدون جزْمًا أنها واقعة حقًا. إلا فانتبهوا أياً العياد. إنَّ الذين يجادلهم في قيام الساعة لفْ ضلال بعد عن الحق.

١٩ - الله سبحانه ذو لطف بعباده، يرزق مَنْ يشاء منهم، وهو القويُّ
الذى له القوَّةُ كُلُّها لا يغله أحد، العزيز في انتقامته من أعدائه.

٢٠ - يُحِضُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَمَلِ لِلآخِرَةِ، فَمَنْ كَانَ يَرِيدُ بِأَعْمَالِهِ وَنِيَّتِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُصَاعِفُهُ لِهِ حَسَنَاتِهِ، وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ بِعَمَلِهِ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحْدَهَا نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نَرِيدُ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ يَسْتَحْقِهُ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرَثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ: ابْنَ آدَمْ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ صِدْرَكْ غَنِيًّا وَأَسْدُ فَرْكَ، إِلَّا تَفْعَلْ مُلَائِكَتِي شَغْلًا، وَلَمْ أَسْدَ فَرْكَ».

(آخرجه الترمذی فی السنن برقم ٢٤٦٦، وقال: حسن غریب. وابن حبان فی (صحیحه المسند) برقم ٣٩٣) وأخرجه الحاکم من روایة معقل بن یسار بنحوه، وصححه ووافقه الذهبی (المستدرک /٤ ٣٢٦) ووافقهما الألبانی فی (السلسلة الصحيحة برقم ٩٥٠).

الفوائد والاستنطاطات:

١ - قال الشيخ ابن عثيمين: «إثبات القياس؛ لقوله: ﴿وَالْمِيزَانُ﴾ لأنَّ الميزان ما تُوزن به الأشياء ويقارن بينها، ففيه إثبات القياس في الشرائع السماوية. واعلم أنَّ كلَّ مثل ضربه الله في القرآن فإنَّه مُثبِّت للقياس؛ لأنَّ المقصود به قياس هذه الحال على هذه الحال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَاطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤]، عندنا هنا مشبهة ومشيئه به، والتشبيه يقتضي الموازنة والإحاق المشبه بالمشبه به، وهذا تماماً هو القياس». (تفسير القرآن الكريم: ٤٧٧/٩).

٢ - النبي ﷺ لا يعلم متى تقوم الساعة؛ لقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾، أي: وما يعلّمك. وهذا حقيقة ثابتة، فإنَّ جبريل عليه السلام سأله النبي ﷺ قال: أخبرني عن الساعة؟ فقال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**.

(صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان برقم ٥٠، صحيح مسلم - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم ٩).

٣ - المؤمن بالساعة خائف منها؛ لقوله: **﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾**، ولكنَّهم خائفون خوفاً يحملهم على العمل لها.

٤ - التحذير من الحرص على متاع الحياة الدنيا، والدعوة إلى إخلاص العمل لله تعالى لنيل الأجر والثواب.

٥ - الآية (٢٠) مقيدة بالآية **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا﴾** [الإسراء: ١٨]؛ لأنَّ منْ أراد حرش الدنيا فإنه لا يعطي كلَّ ما أراد.

٦ - في الآية (٢٠) إخبار مستقبلي عن جزاء منْ أراد بعمله الآخرة أو الدنيا، فمنْ أراد بعمله ثواب الآخرة، فأدَى حقوق الله، وأنفق في الدُّعوة إلى الدين، فإنَّ الله يزيد له في عمله الحسن، فيضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة، ومنْ أراد بعمله الدنيا وحدها آتاه الله منها ما قسمه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الْدِينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ
 لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾٢١﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا
 كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾٢٢﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادُهُ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّلِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَنِيهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَتَرَدَّدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ
 اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴾٢٣﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكُمْ وَبِمَحْمِّلِ
 الْبَطْلَ وَحْقِ الْمُقْرَبِ كَلِمَتِهِ إِنَّمَا عِلْمُ دِيَاتِ الْمُصْدُورِ ﴾٢٤﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التُّوبَةَ عَنِ عِبَادِهِ
 وَيَغْفِرُ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾٢٥﴿ وَسَتَحِبُّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
 فَضْلِهِ وَالْكُفَّارُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾٢٦﴿

التفسير:

٢١ - يُوبّخ الله تعالى المشركين: هل لهؤلاء المشركين بالله شركاء من الآلهة والشياطين، شرعوا لهم الشرك والعصيان الذي لم يأمر به الله تعالى؟ ولو لا أنّ حكم الله سابق بإمهالهم؛ لقضى بينهم بتعجيل هلاكهم. وإنّ الظالمين أنفسهم بالكفر لهم عذاب يوم القيمة.

٢٢ - ترى - أيها الرسول - الكافرين بالله خائفين يوم القيمة من عقاب الله؛ بسبب ارتکابهم الجرائم في الدنيا، والعقاب نازل بهم، والمؤمنون الذين عملوا بطاعة الله في رياض الجنان الطيبة، لهم ما يتمنّون من أنواع النعم من عند ربّهم. ذلك الجزاء العظيم هو الفضل الكبير الذي لا يُوصف قدره.

٢٣ - ذلك المقام الكريم الذي يُبَشِّرُ الله عباده المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله تعالى. قل - أيها الرسول - للمسركين: لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة، إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، ومن يكتسب حسنة نصاعفها له. إنّ الله غفور لذنب عباده التائبين، شكور لعباده المؤمنين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئلَ عن قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: عجلت، إن النبي صلى الله عليه وسلم

يكن بطنٌ من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

(صحيح البخاري ٤٢٦ / ٤٨١٨ - كتاب التفسير - سورة الشورى، باب الآية).

٢٤ - ٢٥ - يُوَبِّخُ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ: بل أَيُقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّداً اخْتَلَقَ الْكَذْبَ عَلَى اللَّهِ بِنَسْبَةِ الْقُرْآنِ إِلَيْهِ؟ لَوْ افْتَرَيْتَ ذَلِكَ لَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ، وَيُزِيلُ اللَّهُ الْبَاطِلَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ الْحَقَّ، وَيُوَضِّحُهُ بِحُجَّتِهِ الْحَكِيمَةِ. إِنَّهُ سَبِّحَهُ عَلَيْهِ بِمَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا، وَيَصْفُحُ عَنِ الذَّنْبِ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَحِاسِبُكُمْ عَلَيْهِ.

٢٦ - ويستجيب المؤمنون الذين يعملون الصالحات لِمَا دعاهم الله إليه من الحقّ، ويزيدهم من فضله هدىًّا وأجرًا كبيرًا، والمُكَذِّبون بالله لهم عذاب شديد الألم في نار جهنّم.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال الشيخ ابن عثيمين: «مَنْ أطاع الزعماء الكبار في تحريم شيء أحَلَّهُ اللهُ، أو تحليل شيء حَرَّمَهُ اللهُ، أو إيجاب شيء لم يوجبه اللهُ، فإنَّه قد اتخذهم شركاء». (تفسير القرآن الكريم: ٤٩٠ / ٩).

٢ - ما قضاه الله أَزَلًا لا يتغير، يعني في الماضي لا يتغير.

٣ - في الآية (٢٢) عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ وقف نبوى، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).

٤ - في الآية (٢٣) إخبار مستقبلٍ، وبشارة لعباد الله المؤمنين بالنعيم والكرامة في الآخرة. وفيها إخبار مستقبلٍ آخر عن جزء مَنْ يكتسب حسنة، فإنَّ الله يضاعفها له بعشر فصاعداً.

٥ - بيان شدة متابدة الكفار لما جاء به النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿أَفَنَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

٦ - الطبع على القلب عقوبة من الله يُصيب بها العصاة.

٧ - في الآية (٢٥) إخبار مستقبلٍ عن تَقْبُلَ الله توبَةِ عباده، إذا رجعوا إلى توحيد وطاعتَهُ، ويعفو عن سيئاتِهِم. وفيها إخبار مستقبلٍ آخر، وهو أنَّ

الله ﷺ يعلم ما يصنع عباده من خيرٍ وشّرًّ - سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل -، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، وهو مجازيٌّ بهما.

٨ - فضيلة الإيمان والعمل الصالح، وأنه سبب لإجابة الله تعالى.

٩ - كلُّ ما ينال الإنسان من خيرٍ بفضل الله. وعلى هذا يجب على الإنسان أن يقطع عن نفسه الإعجاب والغرور.

١٠ - الله تعالى يُنذر الناس عن المعا�ي والكفر بذكر العقاب.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَعَوَّا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يِشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ
وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْفَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَطَوْا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^{٢٨}
﴿وَمِنْ
إِيَّنِي، خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِنْ دَآبَةٍ وَهُوَ عَلَى جَمِيعِهِمْ إِذَا يِشَاءُ قَدِيرٌ﴾^{٢٩}
﴿وَمَا
أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^{٣٠}
﴿وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوبٍ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^{٣١}
﴿وَمِنْ إِيَّنِي أَجْوَارٍ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ
إِنْ يَشَاءُ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلَلُنَّ رَوَادِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ﴾^{٣٢}
﴿أَوْ يُوَيْقِنُ
بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾^{٣٣} **وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجْدِلُونَ فِي إِيَّنِي مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾^{٣٤}**

التفسير:

٢٧ - ولو وَسَعَ الله تعالى الرزق على عباده فوق حاجتهم، لَحملهم ذلك على الفساد والعدوان فيما بينهم، ولكنه سبحانه يرزق بقدر ما يشاء لكفايتهم. إنَّ عباده خبير بأحوالهم، بصير بتدبر شؤونهم، وهو الذي ينزل المطر من بعد ما يئسوا من نزوله، وينشر رحمته في خلقه، وهو الوليُّ الذي يتولى عباده بفضلة، المحمود على كلِّ حال.

٢٩ - ومن دلائل قدرة الله: خلق السموات السبع والأرضين السبع، وما نشر فيهما من أصناف الدواب التي تدبُّ على وجه الأرض، وفي كلِّ سماء، وهو سبحانه على جمع المخلوقات كلَّهم إذا يشاء قدير، لا يعجزه شيء.

٣٠ - وما أصابكم - أيها العباد - من مصيبة فبسبب معاصيكم التي ارتكبتموها، ويعفو ربُّكم عن كثير من الذنوب، فلا يؤاخذكم بها.

٣١ - ولستم - أئيُّها العباد - بمعجزين الله في الأرض ، فلن تفلتوا منه ، وليس لكم من غير الله من ولِيٍّ يَتَوَلَّ أموركم ، ولا نصير يدفع عنكم ما يؤذِّيكم .

٣٢ - ومن دلائل عظمة قدرته سبحانه : السفن الكبيرة التي تجري في البحر كالجبل ، إن يشاً الله أن يجعل الريح ساكنة ، فتقف السفن ثابتة على ظهر البحر . إنَّ في ذلك التدبير العظيم لعِلاماتٍ واضحة على القدرة الربانية لكل صَبَار على طاعة الله ، شكور لنعمه سبحانه ، وإن يشاً يُرسل الرياح العاصفة ، فُيُغرق هذه السفن ومنْ عليها بسبب ذنوبهم ، ويتجاوز سبحانه عن كثير من الذنوب .

٣٥ - ويعلم الكُفَّار الذين يجادلون في آياتنا المسموعة والمشاهدة بالباطل ، ما لهم من فرار من عقاب الله .

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٢٧) إخبار مستقبلي عن حال العباد فيما إذا بسط الله الرزق ، ووسعه عليهم ، فإنَّهم يبغون في الأرض أشراً وبطراً ، ويطغى بعضهم على بعض ، ولكن الله يُنَزِّل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكتفاليتهم .

٢ - بسطُ الرزق وتضييقه من عند الله وحده .

٣ - الإشارة إلى أنَّ توسيع الرزق على أحد ، وتضييقه على آخر ، مبنيٌ على خبرة وعلم ؛ لقوله : ﴿إِنَّمَا يُعَبَّدُهُ خَيْرُ بَصِيرٍ﴾ .

٤ - تمام قدرة الله ﷺ بجمع هذه الدواب يوم الحساب ؛ لقوله : ﴿وَهُوَ عَلَى جَمِيعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ .

٥ - في الآية (٣٠) إخبار مستقبلي بأنَّ اكتساب الذنوب والآثام يوقع المصائب في الدين والدنيا ، مع أنَّ الله ﷺ يعفو عن كثير من السيئات ، فلا يؤخذ عباده بها .

٦ - توصل العلم الحديث إلى :

أ - أن السفن تبقى ساكنة ، ما لم تؤثر فيها قوة تحركها .

ب - أن للسفن قسماً مغموراً في الماء لا نراه ، يُؤْمِن لها التوازن ويحفظها من الغرق .

ج - تسخير مياه البحار والأنهار وجعلها ذات كثافات مناسبة لتحمل على ظهرها السفن .

د - استخدام الخشب لصناعة السفن؛ لأنَّه أخفُّ من الماء، ومسامير لتشييت الألواح الخشبية ذات السطح الكبير، مما يزيد من القوة الضاغطة، ويمنع تسرُّب الماء إلى داخلها .

(<http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=556>)

٧ - وجوب خوف الله تعالى ورقبته؛ لأنَّ الله ﷺ إذا أراد أن يعذب العاصي فلن يخفى عليه .

٨ - التحذير من المعاشي، وأنَّها سبب للعقوبات؛ لقوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ .

٩ - دُمُّ المجادلة لإبطال الحق؛ لقوله: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ﴾ ، أمَّا المجادلة لإثبات الحق فإنَّها واجبة بالتالي هي أحسن في الأسلوب والبيان والبرهان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَدَلُوهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحَسَن﴾ [النحل: ١٢٥] .

﴿فَمَا أُوتِيدُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمِنْهُ حَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَابْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبَرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحَشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧﴾
 ﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمَا رَقَبُوهُمْ يُنْفِعُونَ ٣٨﴾
 ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوهُمُ الْعَجْزُ هُمْ يَنْصَرُونَ ٣٩﴾
 ﴿وَجَرَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلًا فَمَنْ عَفَّ كَا وَصَلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠﴾
 ﴿وَلَمَّا نَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأَوْتَ إِلَيْكَ مَا عَكَبَهُمْ مِّنْ سَيِّلٍ ٤١﴾
 ﴿إِنَّمَا الْسَّيِّلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُدُونَ فِي الْأَرْضِ ٤٢﴾
 ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٣﴾
 ﴿وَمَنْ صَرَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ ٤٤﴾

التفسير:

٤١-٤٤ - يُقتل الله تعالى من شأن الحياة الدنيا، فمهما جمعتم - أيها العباد - من زخرف الدنيا فلا تغتروا به، فإنَّما هو متع الحياة الدنيا الزائلة، وثواب الله في الآخرة خير من متع الدنيا، وأبقى أثراً لدوامه. وهذا الخير هو الدائم للمؤمنين بالله المعتمدين عليه. ومن صفاتهم أنَّهم يجتنبون كبار الذنوب والمعاصي الخبيثة، وإذا غضبوا تجاوزوا عن الذنب، وكظموا الغيظ، والذين

أجابوا ربّهم إلى ما دعاهم إليه من الإيمان به، وحافظوا على الصلاة في أوقاتها، ويتشاورون في مهمّات الأمور، وممّا رزقناهم من المال يتصدّقون في سبيل الله. والذين إذا تعرّضوا للظلم انتصروا لدُفْعِه، بمجازاة المسيء بمثل ما اعتدى من غير زيادة. فمنْ عفا عن المسيء، وأصلح ما بينه وبين المَعْفُو عنه ابتغاء رضا الله، فأجْرٌ عفوه على الله. إنَّ الله تعالى لا يحبُّ المعتمدين، ومنْ عاقب المعتمدي بمثل اعتدائِه فلا ذنب عليه.

٤٢ - إنَّما الإثم والعقاب على الذين يَتَعَدَّون على الناس، ويفسدون في الأرض بالباطل من القول والفعل. أولئك البداء عن الحقّ لهم عذاب موجع.

٤٣ - ولَمَنْ صبر على الأذى وستر على السيئة. إنَّ ذلك الأمر العظيم من الأمور المحمودة التي أمر الله بها وأكَّدها.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٣٦) إخبار مستقبلٍ والبشرة للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربّهم يتوكّلون بأنَّ لهم عند الله تعالى نعيم الجنة المقيم.

٢ - وجوب التوكل على الله؛ لقوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾.

٣ - أهمية الشورى في علاج أنواع العنف والقضاء على الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ لأن الكل تحت قبة واحدة ويجب أن يحافظ على هيبة الجماعة ووحدة الكلمة ونبذ الفرقـة والشقـاق.

٤ - مسؤولية مجلس الشورى في الارتقاء بالمجتمع من خلال النتائج السديدة والتوصيات الرشيدة ذات قرارات حكيمـة ومخرجـات كريمة.

٥ - من صفات الذين آمنوا، وعلى ربّهم يتوكّلون: أنَّهم لا يرْضُون بالظلم، وإغفال الأخذ بحقّهم؛ لقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوهُمْ أَبْغَى هُمْ يَنْصَرُون﴾.

٦ - يجب على من انتصر إذا أصابـه البغيُّ ألا يتـجاوزـ الحـدـ بالاستـيفـاء.

٧ - في الآية (٤٠) إخبار مستقبلٍ بأنَّ جـزـاءـ سـيـئـةـ المـسـيءـ فيما إذا أـسـاءـ فإنَّ عـقوـبـتهـ سـيـئـةـ مـثـلـهاـ منـ غـيرـ زـيـادـةـ. وـفيـهاـ إـخـبـارـ مـسـتـقـبـلـيـ آخرـ، وـهـوـ جـزـاءـ مـنـ عـفـاـ عنـ المـسـيءـ وـتـرـكـ عـقـابـهـ، وـأـصـلـحـ الـوـدـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ المـعـفـوـ عنـ اـبـتـغـاءـ وـجـهـ اللهـ، فـأـجـرـ ذـلـكـ العـفـوـ عـلـىـ اللهـ.

- ٨ - التحذير من الظلم.** ووجهه أنَّ في الظُّلم انتفاء محبَّة الله للعبد، وما أعظم الخسارة فيمَنْ خسر محبَّة الله له !
- ٩ -** في الآية (٤٣) إخبار مستقبلي عن جزاء مَنْ صبر على الأذى وستر السيئة، فإنَّ ذلك من عزائم الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورَّتب لها ثواباً جزيلاً، وثناء حميداً .

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٌّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِنَّ
مَرَدِّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا حَسِيعَنَّ مِنَ الدُّلُّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرِفٍ حَفِيٌّ
وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِيرَاتِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولَئِكَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ أَسْتَجِيبُ لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدِّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ مَلْجَىٰ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنَّ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ
عَيْنَكَ إِلَّا أَبْلَغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةِ فَرَحِّبَ هَا وَإِنْ تُصْبِحُهُمْ سَيِّئَةً بِمَا
قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُفُورٌ ﴿٤٨﴾

التفسير:

٤٤ - ومنْ يُضْلِلِ الله عن الهداية فليس له ناصر يتولى هدايته ، وترى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر يوم القيمة حين رأوا العذاب يقولون لربهم: هل هناك طريق للرجوع إلى الدنيا لعمل صالح؟

٤٥ - وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين يُعرضون على نار جهنَّم خائفين من الخزي يُسَارِقون النظر من شدة الخوف . وقال المؤمنون: إنَّ الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة . لا فانتبهوا - أيها العباد - من سوء عاقبتهم. إنَّ الظالمين في عذاب دائم ، وما كان لهم من أ尤ان ينقذونهم من العذاب ، ومنْ يُضْلِلِ الله عن الهداية فما له من طريق يخرجه من الغواية ليصل به إلى الهداية .

٤٧ - أجيروا دعوة ربكم - أيها العباد - لعبادته من قبل أن يأتي يوم

القيامة الذي لا يمكن لأحدٍ أن يرده بعد حكم الله بوقوعه، ما لكم من مَّرْتَلْجُون إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَاصِرٍ يُعِينُكُمْ، وَلَا سَبِيلٌ لَكُمْ لِإِنْكَارِ مَا اقْتَرَفْتُمْ، فَإِنَّ أَعْرَضُوكُمْ عَنْ هَذِهِ الدُّعْوَةِ وَالْإِيمَانِ، وَاسْتَحْبُوا الْكُفْرَ فَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَيْهِمْ حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ لِتَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا، فَمَا عَلَيْكُمْ إِلَّا تَبْلِيغُ الدُّعْوَةِ . وَإِنَّا لَمَّا لَمْنَا مِنَ الْعَظَمَةِ الْكَامِلَةِ وَالْقَدْرَةِ الشَّامِلَةِ - إِذَا أَكْرَمْنَا إِنْسَانًا بِرَحْمَةِ فَرْحَةِ بَهْرَاهِ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ مَصِيرَةً بِسَبِيلِ ارْتِكَابِهِمُ الْمُعَاصِي فَإِنَّ إِنْسَانًا جَحُودٌ لِنَعْمَمِ اللَّهِ .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - إنَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الْحَقِّ الْمُعَانِدِينَ يُجَازَوْنَ بِعِقَابٍ يُنَاسِبُ مَعْصِيتِهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَى النَّارِ خَائِعِينَ ذَلِيلِينَ .
- ٢ - تسلية للدُّعَاءِ، فَالَّذِي عَلَيْهِ الْبَلَاغُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَهْدِيَ النَّاسَ؛ لَأَنَّ الْهُدَىَةَ مِنْ اللَّهِ .
- ٣ - ما يصيِّبُ إِنْسَانًا مِنْ سَيِّئَتِهِ هُوَ بِسَبِيلِ عَمَلِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿بِمَا فَعَلْتُ أَيْدِيهِمْ﴾ .
- ٤ - فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تسليةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ .

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّ شَاءَ إِنَّ شَاءَ وَيَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَرْزُقُهُمْ ذَكْرَانَا وَإِنَّ شَاءَ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِيْ حَجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِلَيْمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَا نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صَرَاطٌ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

التفسير:

- ٤٩ - اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلْكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، فيرزق مَنْ يشاء الإناث، ويرزق مَنْ يشاء الذكور، أو يرزقهم ذكوراً وإناثاً، ويجعل مَنْ يشاء عقيماً لا يولد له ولد. إِنَّه سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ بِأَحْوَالِ الْخَلْقِ، قَدِيرٌ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ، وَرِزْقٌ مَنْ يَشَاءُ .

٥١ - وما صَحَّ لِأَحَدٍ مِّنَ الْبَشَرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِوْحِيٍّ مِّنْهُ مِنْزَلٍ عَلَيْهِ، أَوْ يُكَلِّمَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يَرْسُلُ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيَوْحِي بِإِذْنِ رَبِّهِ مَا يُشَاءُ تَبْلِيغَهُ.
إِنَّهُ سَبِّحَنَهُ عَلَيْهِ بِذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ شَؤُونِ مَخْلُوقَاتِهِ.

٥٢ - ومِثْلَ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ غَيْرُكُمْ مِّنَ الرَّسُولِ أَوْ حِينَا إِلَيْكُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - قُرْآنًا مِّنْ عِنْدِنَا، مَا كُنْتُ تَعْرِفُ مَا الْكِتَابُ السَّابِقُ لَهُ وَلَا الْإِيمَانُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ نُورًا يُبَصِّرُ الْعِبَادَ، نَهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادَنَا. وَإِنَّكُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَتَهَدَّيُ إِلَى الْإِسْلَامِ حَقًّا، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ السَّبْعِ، أَلَا فَانتَهُوا أَيُّهَا الْعِبَادُ، فَإِنَّ مَرْجِعَ أُمُورِ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِلْحِسَابِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآيتين (٤٩ - ٥٠) إخبار مستقبلٍ بِأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يُشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ - سَوَاءً فِي الْمَاضِي أَوِ الْحَاضِرِ أَوِ الْمُسْتَقِبِلِ - فَيَهْبِطُ لِمَنْ يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّاثًا لَا ذَكْرَ مَعْهُنَّ، وَيَهْبِطُ لِمَنْ يُشَاءُ الذَّكُورَ لَا إِنَاثَ مَعْهُمْ، وَيُعْطِي لِمَنْ يُشَاءُ مِنَ النَّاسِ الذَّكْرَ وَالْأَنْثَى، وَيَجْعَلُ مَنْ يُشَاءُ عَقِيمًا لَا يُولِدُ لَهُ.

٢ - لا اختيار للمرء بالنسبة للأولاد؛ لقوله: ﴿يَهْبِطُ لِمَنْ يُشَاءُ﴾، فجعل الأمر راجعاً إلى مشيئته ﴿يَهْبِطُ﴾.

٣ - الإشارة إلى أنَّ ما خالف هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ ليس صراطًا مستقيماً، تؤخذ من قوله: ﴿إِنَّ صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ﴾، يعني أنَّ غير ما أنت عليه ليس صراطًا مستقيماً.

٤ - في الآية (٥٢) إخبار مستقبلٍ بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْقُرْآنَ ضِياءً لِلنَّاسِ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ - سَوَاءً فِي الْمَاضِي أَوِ الْحَاضِرِ أَوِ الْمُسْتَقِبِلِ - .

٥ - عُقْمُ أحد الزوجين قَدْرُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى وَابْتِلَاءُ وَبِحُكْمَةِ مِنْهُ قَدْ لَا يَعْلَمُهَا إِنْسَانٌ، فَعَلَيْهِ التَّسْلِيمُ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ مَا كُتُبَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَلِيُطمِئَنَّ بِهِ دُونَمَا تَحْسُرُ أَوْ جَزَعٌ.

٦ - إثبات الوحي من الله إلى البشر بواسطة .

٧ - تقرير هداية القرآن الكريم .